الفصل الثالث
ابن حزم.. والنصرانية

يعتمد ابن حزم فى الحديث عن النصارى على القواعد الآتية:

(أ) فهم الأناجيل على ظاهر الألفاظ – كما تدل عليه اللغة – وعدم اعترافه بتأويل الكنيسة وأحبارها، إذ يرى فى ذلك نوعا من الخداع والتضليل، وقد ذكرنا الأمثلة على ذلك فى موضعها من تلك الرسالة[1]..

(ب) اعتبار كل كتاب يوجد الكذب فيه – مثل الإنجيل – باطلا وموضوعا وليس من عند الله – ﷻ –[2].

(جـ) عدم الاعتراف بالكثرة «فالحق حقٌّ صدقه الناس أو كذبوه، والباطل باطل صدقه الناس أو كذبوه، ولا يزيد الحق درجة فى أنه حق إطباق الناس كلهم على تصديقه[3]».

(د) التركيز على العقائد فى مناقشة النصرانية، لأنه ليس فى الاشتغال بالأحكام الشرعية شىء يوجبه العقل أو يمنعه بل كلها من الممكن، فإذا قامت البراهين الضرورية على قبول الأمر بها ووجوب طاعته وجب قبول كل ما أتى به كائنا ما كان من الأعمال[4]..

(هـ) اعتماده فى مناقشة الإنجيل وغيره من كتب النصارى على النصوص الواضحة التى لا يشك كل ذى مسكة تمييز أنه كذب على الله – تعالى – وعلى الأنبياء – عليهم السلام – إلى أخبار أوردوها لا يخفى الكذب فيها على أحد[5]..

---

(١)) راجع مبحث ظاهرية ابن حزم وأثرها على كتاب الفصل.

(٢)) الفصل ١ / ١١٦.

(٣)) الفصل ١ / ١٠٣.

(٤)) الفصل ١ / ٣٧.

(٥)) الفصل ١ / ٩٢.

وقد اهتم ابن حزم فى هذا الباب اهتماما كبيرا بعقائد النصارى خصوصا ما يتعلق بقضايا التثليث والحلول، والصلب والفداء.. كما أنه أفرد جزءا كبيرا من دراسته عن كتب النصارى ومناقشتها وإثبات كذبها وتناقضها.. وقد كان ابن حزم يرى أن الفساد الذى دخل على ديانة النصارى منشـؤه تلك الأناجيل التى وضعها أحبارهم واتخذوا منها سـندا لما يذهبون إليه من تثليث وصلب وحلول، ولذلك يقول تمهيدا لمناقشة هذه الكتب.. «معتمد النصارى كله الذى لا معتمد لهم غيره من قولهم بالتثليث، وأن المسـيح إله، وابن الله، واتحاد اللاهوتية بالناسوتية والتحامه به إنما هو كله على أناجيلهم وعلى ألفاظ تعلقوا بها مما فى كتب اليهود كالزبور وكتاب أشـعيا وكتاب أرميا، وكلمات يسـيرة من التوراة، وكتاب سليمان وكتاب زخريا..»[1] ولذلك نجده انطلاقـا من اتجاهه الموضوعى الذى لا يهتم بالتفاصيـل التاريخية لايذكر عن فرق النصارى إلا قدرا قليلا مكتفيا بذكر ملخص عن نشأة كل فرقة ومدى انتشارها، وهذه البيانات – على إيجازها – يقول عنها العالم الفرنسى (دى لابوليه) إنها تعد بالغة الدقة..»[2]

ثم يقول بعد ذلك: «إن المسائل الاعتقادية التى عالجها فيما بعد أحبار المسيحية ممن ذكر أسماءهم سبق أن بحثها ابن حزم وناقشها فى كتابه الفصل[3]» وهذه شهادة لها قيمتها..

والـذى يطالع ماكتبـه ابن حزم عن ديانة النصارى يـرى أنها تناقش ثلاث نقاط هامة:

أولها: عقيدة التثليث.

ثانيها: عقيدة الصلب والفداء.

ثالثها: دراسة الأناجيل وكتب النصارى الأخرى.

---

(١)) الفصل ٢ / ٦.

(٢)) عبد العزيز عبد الحق: مقدمه الرد الجميل ٨١.

(٣)) الموضع السابق.

وسوف نلقى مزيدا من الضوء على تلك الركائز الثلاثة حتى يتضح لنا منهج ابن حزم فى دراسته للنصرانية.

أولا: عقيدة التثليث:

تناول بن حزم تلك المسألة بطريقة يغلب عليها طابع الرد وإظهار التهافت أكثر من تقريرها وبسطها.. فهو يتحدث عنها بإيجاز وتركيز، ثم لا يلبث أن يفيض فى مناقشة الفكرة بكل ما أوتى من علم وقوة.. ويذكر عن فرقة الملكانية التى يعرف أتباعها فى عالمنا العصرى بالكاثوليك - أنهم يرون أن «الله - تعالى - عن قولهم - ثلاثة أقانيم أب وابن وروح قدس كلها لم تزل، وأن عيسى - عليه السلام - إله تام كله، وإنسان تام كله، ليس أحدهما غير الآخر.. وأن الإنسان منه هو الذى صلب وقتل، وأن الإله منه لم ينله شىء من ذلك، وأن مريم ولدت الإله والإنسان، وأنهما معا شىء واحد ابن الله تعالى الله عن كفرهم[1]».

وأما فرقة اليعقوبية (الأرثوذكس) فيقول: إن عقيدتهم فى المسيح أنه هو الله تعالى نفسه، وأن الله تعالى مات وصلب وقتل، وأن العالم بقى ثلاثة أيام بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان، وأن الله تعالى عاد مُحدثًا وأن المُحدث عاد قَدِيمًا، وأنه تعالى كان فى بطن مريم محمولا به.. ويذكر ابن حزم أن أتباع هذه الفرقة يعيشون فى مصر والحبشة[2]، وهذا كلام صحيح إلى يوم الناس هذا...

ويبدو أن ابن حزم كان يرى أن قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ (سورة المائدة: ٧٢) نزلت فى اليعاقبة الذين ذكر عنهم أن مقالتهم فى المسيح - عليه السلام - أنه هو الله نفسه.. كما أن الآية الكريمة: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ (سورة المائدة: ٧٣) جاءت فى الملكانية القائلين بأن الله تعالى ثلاثة أسباب أو أقانيم - كما يعبر النصارى - أب وابن وروح قدس..

(١) الفصل ١/٤٩.

(٢) الفصل ١/٤٩.

والذى يبدو لنا من دراسة الفكر المسيحى أن اليعقوبية لا تختلف مع الملكانية فى أصل القول بالتثليث، وإن اختلف مفهوم كل منهما حول ماهيته وطبيعته.. ومن ثم فإن قصر آية على فرقة دون أخرى فيه نظر...

ويبدأ ابن حزم رده على القول بالتثليث بذلك الاستهلال:

«وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن فى العالم عقلا يسع هذا الجنون، ونعوذ بالله من الخذلان»[1]!! ويسأل اليعاقبة القائلين بأن العالم بقى ثلاثة أيام بلا مدبر لما صلب المسيح..!!

«عرفونا من دبر السموات والأرض وأدار الفلك هذه الأيام الثلاثة التى كان فيها ميتا؟! وكيف يعود الإله محدثا والمحدث قديما والاستحالة والنقلة لا يوصف بهما الأول الذى لم يزل؟؟ ولو كان كذلك لكان محدثا والمحدث يقتضى محدثا خالقا له تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا[2]»؟.

ثم يقول للملكية القائلين بأن الله ثلاثة أشياء أب وابن وروح قدس كلها لم تزل وأنها مع ذلك شىء واحد – كيف يكون الواحد ثلاثة والثلاثة واحدًا!؟؟ أليس هذا هو عين التخليط[3].

وإذا كنتم تقولون: إن الثلاثة واحد، فما تقولون فيما ورد فى إنجيلكم بقوله فيه: «سأقعد عن يمين أبى» وأيضا ما ورد فى إنجيل مرقس: «إن القيامة لا يعلمها إلا الأب وحده وأن الابن لا يعلمها[4]» أليس هذا يوجب أن الابن ليس هو الأب..؟!

ويبدو أن مسألة التثليث عند النصارى كانت بالنسبة لابن حزم بمثابة المفتاح الذى يدخل به معترك النقاش والجدل مع هولاء القوم، وقد كان النصارى فى دولة الأندلس يحاولون أن يجدوا لأنفسهم مخرجا لتلك الأسئلة الحرجة التى يطلب صاحبنا جوابًا لها...

---

(١) الفصل ٤٩/١.

(٢) الفصل ٥٠/١.

(٣) انظر الفصل ٥٠/١.

(٤) مرقص ١٣: ٣٢.

وقد سجل لنا ابن حزم فى كتابه الفصل بعض ما قاله النصارى دفاعا عن عقيدتهم واعتبرها «أبو محمد» أقوالا مستهجنة، وأشياء ملفقة لا تصلح جوابا قط.. من ذلك ما ردَّ به بعضهم دفاعا عن التثليث إذ قال: «لما وجب أن يكون البارى تعالى حيا وعالما وجب أن تكون له حياة وعلم فحياته هى التى تسمى روح القدس،وعلمه هو الذى يسمى الابن[1]».

وبعد أن يجتهد ابن حزم فى الرد على هذا الكلام – الذى وصفه بأنه «أغث ما يكون من الاحتجاج[2]» – وأن الله سبحانه – لا يصح أن يوصف بشىء من هذا إلا بطريق السمع خصوصا وأنه لا بد من دليل نقلى على هذا الزعم وهيهات أن يكون فى أناجيلهم دليل..!!

بعد ذلك يورد ما قاله بعضهم – ولعله من الشخصيات المسيحية التى ناقشها ابن حزم.

«لّما كانت الثلاثة تجمع الزوج والفرد – هذا أكمل الأعداد – وجب أن يكون البارى تعالى كذلك لأنه غاية الكمال[3]». ويأخذ ابن حزم فى الرد على هذا الشبهة التى تعتبر من أغث الكلام – على حد قوله ومن أهم ما ردّ هذا الزعم أن كل عدد بعد الثلاثة فهو أتم من الثلاثة، لأنه يجمع إما زوجا وزوجا، وإما زوجا وزوجا وفردا، وإما أكثر من ذلك وبالضرورة يعلم أن ما جمع أكثر من زوج وفرد فهو أتم وأكمل مما لم يجمع إلا زوجا وفردا فقط فليزمه أن يقول إن ربه أعداد لا تتناهى أو أنه أكثر الأعداد، وهذا أيضا ممتنع محال لو قاله، وكفى فسادا بقول يؤدى إلى المحال[4]..

ومما يدل أيضا على بطلان هذا القول أنه مضاد لقولهم أن الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة، لأن الثلاثة التى تجمع الزوج والفرد غير الثلاثة التى هى عندهم واحد بلا

(١) الفصل ١/٥٠.
(٢) الموضع السابق.
(٣) الفصل ١/٥٢.
(٤) الفصل ١/٥٢.

شـك.. كما أن هذا المعنى الذى ذهب إليه نجده فى الاثنين، لأن الاثنين عدد يجمع فـردا وفردا وهـو زوج مع ذلك.. ويختم رده بقوله، إن كل عدد فهو محدث، وكذلك كل معدود يقع عليه عدد فهو أيضا محدث[1]..

ومما هو جدير بالذكـر أن اهتمام ابن حزم بقضية الألوهيـة عند النصارى دون غيرها من جوانب الفكر المسـيحى مثل المجامع المسـيحية وغيرها يدل على وعى بمواطـن الضعف عند أهل الكتاب، لأن آراء النصـارى فى الإله كانت موضع تعجب واسـتنكار عند كثير من المفكرين لما تحمل بين طياتها من لبس وغموض يحار معه العقـل، ويرده الفكر السـليم، ولقد أحسـن الجاحظ عندما قـال: «ولو جهدت بكل جهـدك وجمعت كل عقلك أن تفهم قولهم فى المسـيح لما قدرت عليه حتى تعرف به حد النصرانية وخاصة قولهم فى الألهية. وكيف تقدر على ذلك؟ وأنت لو خلوت مع نصرانى نسـطورى فسـألته عن قولهم فى المسيح لقال قولا، ثم إن خلوت بأخيه لأمه وأبيه وهو نسطورى مثله فسألته عن قولهم فى المسيح لأتاك بخلاف قول أخيه وضده.. وكذلك جميع الملكانية واليعقوبية.. ولذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية كما نعرف جميع الأديان..[2]..».

ثانيا: عقيدة الصلب والفداء:

يبدأ ابن حزم نقده لعقيدة الصلب باعتراض يقول فيه:

يرى اليهود والنصارى أن المسـيح – عليه السلام – قد صلب وقتل، وجاء فى القرآن بأنه لم يقتل ولم يصلب ثم يسـألون: كيف كان هذا؟ فإن جوزتم على هذه الكواف العظام المختلفـة الأهواء والأديان والأزمان والبلدان والأجناس نقل الباطل. فليسـت بذلك أولى من كافتكم التى نقلت أعلام نبيكم وشرائعه وكتابه، فإن قلتم إنه اشتبه عليهم فلـم يتعمدوا نقل الباطل فقد جوزتم التلبيس على الكواف فلعل كافتكم أيضا ملتبس عليهم، فليس سائر الكواف أولى بذلك من كافتكم[3]..

(١) راجع الفصل ٥٣/١.

(٢) ثلاث رسائل للجاحظ تحقيق فِنْكل ص ٢٢، نشر المطبعة السلفية بالقاهرة الطبعة الثانية.

(٣) انظر: الفصل ٥١/١.

ويتركـز رد ابن حزم فى بيان أن صلب المسـيح – عليه السلام – لـم ينقله قط كافة يلزم من إخبارهم العلم الضروى، إذ إن الكافة التى يلزم قبول نقلها لابد أن تكون جماعة يوقن أنها لم تتواطأ على الكذب لتنابذ طرقهم وعدم التقائهم وامتناع اتفاق خواطرهم على الخبر الذى نقلوه عن مشـاهدة أو رجع إلى مشـاهدة، فهـذه صفة الكافة التى يلزم قبول نقلها ويضطر خبرها سـامعها إلى تصديقه، وسـواء كانوا عدولا أو فساقا أو كفـارا[1] ثم يقول ابن حزم: «فلما صح ذلك نظرنا فيمن نقل خبر صلب المسـيح – عليه السلام – فوجدناه كواف عظيمة صادقة بلاشك فى نقلها جيلا بعد جيل إلى الذين ادعوا مشـاهدة صلبه، فإن هنالك تبدلت الصفة ورجع الخبر إلى شرط مأمورين مجتمعين مضمون منهم الكذب وقبول الرشوة على قول الباطل[2]».

وعندى أن ابن حزم لم يوفق فى عرض قضية الصلب والفداء، والردود التى أوردها ليسـت بذات بال.. ولعله لو سـلك طريق النقد والتمحيص بدل الـرد والدفاع لكان أجدى لقضيته وأهدى سبيلا.. وكم كنا نود أن يعرض لنا شبه النصارى التى يسوغون بها صلب المسـيح – عليه السلام – ثـم يأخذ فى إظهار تهافتها والـرد عليها كما فعل فى المواطن الأخرى التى ناقش فيها عقائد النصارى وكتبهم.

وقضيـة الصلـب التى عرض لهـا ابن حزم فى كتابـه الفصل تُعَدُّ مـن أهم عقائد النصارى، لأنهم اتخذوا منها أساسـا وبداية لتأليهه، وأساسـا للتثليث، وأساسـا لاتخاذ الصليب رمزا مقدسا للمسيحية كلها دينا، ويكفى أن نعرف أن الصليب الذى يعتقدون أن المسيح قتل عليه أصبح رمزًا مقدسًا عندهم.

وهـو رمز للتثليث والفداء معا، وهو كذلك رمز للمذبح الذى ذبح عليه المعصوم، وهو أيضا رمز لأكبر فاجعة فى تاريخ البشرية. وهو فى الوقت نفسه أساس الكنيسة وعماد الإنجيل ورمز الحياة الأبدية[3]..

وأسـاس عقيدة الصلب عند النصارى كما يصورها علماؤهم أن من صفات الله العدل والرحمـة، وبمقتضـى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسـبب الخطيئة

(١) انظر الفصل: ٥٨/١.

(٢) الفصل ٥٨/١.

(٣) عبد الأحد داود: الإنجيل والصليب٩.

التـــى ارتكبها أبوهم وطرد بها الجنة واســتحق هو وأبناؤه البعد عن الله بســببها، وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر، ولم يكن هناك من طريق للجميع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيده الذى بعثه إلى الأرض فاتحد بالناسوت، ثم قدم نفسه على الصليب فداء للجنس البشرى كله[1].

ولعله من المناســب هنا أن نورد بعض الردود التى ذكرها مفكرو المســلمين على هذه العقيدة وذلك فيما يلى:

١ - يدعى المسيحيون أن صلب المسيح كان لتحقيق العدل والرحمة، والواقع أن هذا الصلب المزعوم لم يفلح فى تحقيق العدل ولا الرحمة. فلم يتحقق واحد منهما، بل انتفى كلاهما. وبــدلا من أن يوصف الإله بالعدل والرحمة معا، وصم بالظلم والقســوة جميعــا - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - أمــا العدل فلم يتحقق، لأن ألف باء العدالة تقتضى أن يتحمل الجانى مســئولية جنايته، فلا ينزل العقاب بغيره بل ينزل به هو، فإذا ما خرج الأمر عن ذلك كان ظلما وليس عدلا، فإذا ما تصورنا أن زيدا من الناس قد ارتكب جناية ثم نزل عقابها على عمرو، فإن أقل العقول ذكاء تجزم بأن ذلك ليس من العدل فى شىء على الإطلاق.

وكذلــك لم تتحقق الرحمة، لأن الرحمة تقتضى العفو عن الجانى بمعنى أن يكون هناك جان يســتحق العقاب. فتعفو عنه كلية أو تخفف من عقابه المســتحق شــيئا، ولكن القضية التى معنا - قضية الصلب - ترك فيها الجانى الحقيقى. ثم أخذ مكانه البرىء وتحمل العقاب من لا يستحقه. فأين هى الرحمة[2]؟!

٢ - إذا كانت حكمة الله - تعالى عن ذلك - هى فداء الجنس البشرى، حتى لا يخلد فى العذاب الأبدى - كما يزعمون - فلم لم يفعل ذلك منذ وقعت الخطيئة؟ ثم لِمَ لَمْ يبعث بابنه الفادى ليفدى العالم منذ آدم أو بعد آدم بألف أو ألفين من السنين؟ وما هى الحكمة فى انتظاره - تعالى - كل هذه المدة المديدة؟.

---

(١) راجع زكى شنودة: تاريخ الأقباط ٢٣٨ وأحمد شلبى: المسحية ١٥٥.

(٢) محمود مزروعة: دراسات فى الملل والنحل ١١٤ - ١١٥.

وللسيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار، تعليق يقرب من مضمون هذه الفقرة فهو يقرر أن عقيدة الصلب تتنافى مع الإيمان بأن الله بكل شيء عليم، وفى صنعة حكيم لأنه حين خلق آدم لم يكن يدرى بما سيفعله آدم وحين ارتكب آدم المعصية لم يدر بماذا يعالج هذه الخطيئة، ووقع فى ورطة الحيرة والتردد، ولم يهتد إلى حل لهذه الخطيئة أو علاج لها إلا بعد آلاف السنين[1]..

٣ – ونحن نتساءل: ما عاقبة الذين رحلوا عن الدنيا قبل أن يجيء المسيح؟ إذا كانوا ناجين فكيف؟ ولم يكن الفادى قد نزل وصلب.. وإذا كانوا مؤاخذين بخطيئة أبيهم آدم، فلم غفلت عنهم رحمة الله ولم ترسل بالفادى ابتداء حتى ينجو الجميع؟ وما هى الحكمة فى رحمة البعض دون الآخرين؟! وإذا كان إرسال الله ابنه لفداء البشرية رحمة للذين وجدوا بعد المسيح، أفلا يكون تأخيره عن الذين رحلوا قبله قسوة[2].

٤ – ثم إذا كان جميع البشر قبل الفداء ملوثين بالخطيئة، فهل كان الأنبياء من أمثال نوح وإبراهيم وموسى الذى نزل عيسى نفسه تابعا لشريعته مدنسين بالخطيئة كذلك؟ وإذا كان الأمر – كما تقرر المسيحية فعلا – فكيف اختارهم الله – مع دنسهم هذا – لهداية البشرية[3]؟.

٥ – ويدعى المسيحيون أن ذرارى آدم لزمهم العقاب بسبب خطيئة أبيهم، وفى أى شرع يلتزم الأحفاد بأخطاء الأجداد وبخاصة أن الكتاب المقدس ينص على أنه لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل[4].

٦ – وإذا كان المسيح قد نزل لفداء البشرية. وقبل أن يصلب تكفيرا لخطيئة آدم. ورضى بذلك أبوه وأنزله خاصة لهذا الغرض وكان فى ذلك الصلب ترضية لأبيه، وإذا كان الصلب بناء على ذلك هو مشيئة الأب والابن معا، فلمّ إذن يلعن

(١) محمد رشيد رضا: الصلب والفداء ١٩-٢ وانظر – أيضا – دراسات فى الملل١١٦.
(٢) دراسات ١١٧.
(٣) الموضع السابق.
(٤) سفر التثنية ٢٤ : ١٦.

المسيحيون يهوذا الذى دلّ اليهود على مكان المسيح؟ ولم يلعنون اليهود الذين نفذوا ذلك؟ ويهوذا واليهود لم يفعلوا شيئا سوى تحقيق مشيئة الأب والابن معا. ولم يعملوا إلا على تحقيق الغاية التى من أجلها جاء المسيح. ولو فرضنا أن اليهود لم يصلبوه أفلا يكون معنى ذلك فشل القضية كلها[1]؟

ثالثا: مناقشته للكتب والمصادر المسيحية:

وطريقة ابن حزم فى تناول كتب النصارى تعتمد على خمسة مباحث:

المبحث الأول:

التعريف بكتبهم المقدسة..

المبحث الثانى:

بيان ما فى الأناجيل من تناقض..

المبحث الثالث:

بيان ما فى الأناجيل من كذب..

المبحث الرابع:

إبطال ألوهية المسيح من نصوص أناجيلهم..

المبحث الخامس:

العوامل التى أدت إلى تحريف كتبهم وفسادها..

وفيما يلى بيان هذه المباحث الخمسة فى ضوء ما كتبه ابن حزم فى كتابه الفصل..

المبحث الأول: كتبهم المقدسة

وهى كما أوردها ابن حزم تشتمل على خمسة أقسام، تذكرها على الترتيب التالى:

١ - الأناجيل الأربعة:

وهى إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا، ويذكر ابن حزم: أن النصارى لا يدعون أن الأناجيل منزلة من عند الله على المسيح ولا أن

(١) راجع أحمد شلبى: المسيحية ١٥٩ ودراسات ١١٨

المسيح أتاهم بها، بل كلهم لا يختلفون من أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون فى أزمات مختلفة[1]، ويرى أن إنجيل متى ألفه صاحبه بعد تسع سنين من رفع المسيح – ﷺ – وكتبه بالعبرانية فى بلد يهوذا بالشام، ويصف لنا النسخة التى كانت موجودة فى عصره ورجع إليها بأنها تتكون من ثمان وعشرين ورقة بخط متوسط[2].. وبعض هذه المعلومات التى يسوقها الإمام تحتاج إلى شىء من النظر فى ضوء المكتشفات العلمية الحديثة.

إذ إن الذى ثبت من خلال البحوث العلمية أن هذا الإنجيل كتب باللهجة الآرامية الفلسطينية الحديثة، والتى كانت مستخدمة فى المحادثة والكتابة فى هذا العصر فى فلسطين.. وقد أخطأ – مثل – ابن حزم – ابن البطريق[3]. وكثير من مؤرخى العرب إذ قرروا أن متى قد كتب إنجيله هذا باللغة العبرية[4]. ولكن هذا الأصل الآرامى لم يصل إلينا، وإنما وصلت إلينا ترجمته إلى اللغة اليونانية، ولا يظهر فى هذه الترجمة إلا آثار ضئيلة للهجة الآرامية التى كتب بها الأصل، وتتمثل هذه الآثار فى نحو ست عشرة كلمة آرامية مدونة بحروف يونانية، ولا نستطيع أن نجرم بأن يوحنا – صاحب الإنجيل – هو الذى قام بترجمته كما يقرر ابن حزم فى كتابه الفصل، وغيره مثل ابن البطريق، وابن خلدون فى مقدمته، ولا ندرى لهذا الرأى سندا يعتد به[5]. وقد أخطأ ابن خلدون إذ قرر أن هذا السفر ترجم أول ما ترجم إلى اللغة اللاتينية[6] لأن الثابت أن أول ترجمة له هى الترجمة اليونانية كما يقول ابن حزم وهى التى وصلت إلينا بدون أصله..

---

(١) الفصل ٢/٢.

(٢) المواضع السابق

(٣) من أشهر مؤرخى المسيحية، وهو مسيحى من رجال القرن الثالث الهجرى، كان من مترجى الكتب فى بلاط الخليفة المأمون، وقد ترجم له من اليونانية كتاب «المجسطى» فى الفلك لبطليموس الفلكى، وكتاب «الأصول» فى الهندسة لاقليدس، وله كتاب فى تاريخ المسيحية انتفعنا منه فى دراستنا لتلك الديانة.

(٤) انظر فى ذلك – مثلا – ابن خلدون إذ يقول « كتب متى إنجيله فى بيت المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زيدى إلى اللسان اللطينى» انظر المقدمة ٥٩٠/٢ تحقيق على عبد الواحد وافى.

(٥) انظر: على عبد الواحد وافى: الأسفار المقدسة ٧٦.

(٦) وافى، مقدمة ابن خلدون ٥٩٠/٢.

أمـا عن تاريخ كتابة إنجيل متى فلا نسـلم لابن حزم أنه أُلف بعد رفع المسـيح بتسـع سنين، وإذا كنا لا نملك من الوثائق ما يخطئ ابن حزم فيما ذهب إليه، إذ إن باب الاختلاف فى تاريخ تدوينه لا يمكن سده كما يقول الشيخ محمد أبو زهرة غير أن أحدث ما ذهب إليه العلم فى هذا الأمر أن تاريخ كتابته يرجع إلى ما بين عام ٨، ٩٠ أو ربمـا قبل ذلك بقليل[١]. أى حوالى سـنة ٦٠ بعـد الميلاد كما يذهب إلى ذلك الدكتور على عبد الواحد وافى[٢].

أما عن إنجيل مرقس فيقول عنه: «إنه تاريخ ألفه مارقس الهارونى تلميذ شمعون بن الصفا بن توما المسـمى باطرة - يعنى بطرس - بعد اثنين وعشرين عاما من رفع المسـيح ﷺ وكتبه باليونانية فى بلد أنطاكية من بلاد الروم، ويقولون إن شـمعون المذكـور هو ألفه ثم محى اسـمه من أوله ونسـب إلى تلميذه مارقـش، يكون أربعا وعشرين ورقة بخط متوسط، وشمعون المذكور تلميذ المسيح[٣]»..

والرأى الذى أشـار فيه ابن حزم أن شـمعون (بطرس) هو الذى ألف هذا الإنجيل ثم محى اسـمه ونسبه إلى مرقس. أورده المؤرخ المسيحى ابن البطريق عندما قال: «وفـى عصر نارون قيصر كتب بطرس رئيس الحواريين إنجيل مرقس عن مرقس فى مدينة رومية، ونسبه إلى مرقس[٤]».

ويقول موريس بوكاى: «وقد كتب ١. كولمان أنه لا يعتبر مرقس تلميذًا للمسيح.. ومع ذلك فهو يشير إلى هؤلاء الذين قد يشكون فى انتساب هذا الإنجيل إلى مرقس[٥].

ويـرى الباحثون أن تاريخ تأليف هذا الإنجيل يرجـع إلى زمن متأخر عن الذى أورده ابن حزم أى حوالى عام ٦٥ ، ٧٠ بعد الميلاد[٦].

---

(١) موريس بوكاى: دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ٨١.

(٢) الأسفار المقدسة ٧٦.

(٣) الفصل ٣/٢.

(٤) انظر: أبا زهرة، محاضرات فى النصرانية٥٥.

(٥) دراسة الكتب المقدسة ٨٤.

(٦) انظر: محاضرات فى النصرانية ٥٦.

وقد أخطأ ابن خلدون عندما ذكر أن إنجيل مرقس كتب باللغة اللاتينية لأنه كتب باللغة اليونانية كما يقول ابن حزم ولذلك يقول الشيخ أبو زهرة: لم نر أحدًا من كتاب المسيحيين ناقض ذلك[1].

ومن العيوب التى يذكرها العلماء حول إنجيل مرقس أن صاحبه حرره دون أى اهتمام بالتعاقب الزمنى للأحداث. فهذا الإنجيل يضع فى بداية روايته (الإصحاح ١ – الآيات من ١٦ إلى ٢٠) حكاية الصيادين الأربعة الذين يدعوهم المسيح لأن يتبعوه قائلا لهم ببساطة «ستصيرون صيادى الناس» على حين أنهم لا يعرفونه. ويضاف إلى ذلك أن هذا المبشر يبرز افتقادا كاملا للمعقولية[2].

ويقول الأب روجى: إن مرقس كاتب غير حاذق وأكثر المبشرين ابتذالا فهو لا يعرف أبدًا كيف يحرر حكاية، ويدعم المعلق ملاحظته بذكر فقرة تسرد تكون الاثنى عشر حواريا. تقول هذه الفقرة حرفيًا:

«ثم صعد إلى الجبل ودعا الذين أرادهم فذهبوا إليه، وأقام اثنى عشر ليكونوا معه وليرسلهم ليكرزوا ويكون لهم سلطان إخراج الشياطين. وجعل الاثنى عشر وفرض على سمعان اسم بطرس» (مرقس الإصحاح ٣ – الآيات من ١٣– ١٦).

وإذا كان إنجيل مرقس معترفا به كلية كإنجيل كنسى. فإن هذا لا يقلل من أن الكتاب المحدثين يعدون خاتمته (الإصحاح ١٦ – الآيات من ٩ إلى ٢٠) كمؤلف مضاف، وتشير الترجمة المسكونية إلى هذا بشكل صريح.

وهذه الخاتمة غير موجودة فى أقدم مخطوطتين كاملتين للأناجيل المعروفتين باسمى Codex Sinaiticus, Vaticanus الذين يرجع تاريخهما إلى القرن الرابع. ويعلق الأب كانينجسر على هذه الخاتمة بما يلى: «لابد أنه قد حدث حذف للآيات الأخيرة عند الاستقبال الرسمى (أو عند النشر على العامة) لكتاب مرقس فى الجماعة التى ضمنته، ولا متى ولا لوقا، ولا يوحنا بالأحرى، قد عرفوا هذا الجزء المفقود، مع ذلك فقد كانت الفجوة لا تحتمل. وبعد ذلك بكثير وبعد أن جرت بين

(١) محاضرات فى النصرانية ٥٥.

(٢) الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة.

الأيدى الكتابات المتشابهة لمتى ولوقا ويوحنا ثم توليف خاتمة محترمة لمرقس وذلك بالاستعانة بعناصر من هنا ومن هناك لدى المبشرين الآخرين. ومن السهل الاستدلال على قطع هذه الفزورة بالتفصيل خاتمة مرقس (١٦ – من ٩ – ٢٠). ذلك يسمح بتكوين فكرة مادية عن الحرية التى كانوا يعالجون بها النوع الأدبى الخاص بالحديث الإنجيلى حتى أعتاب القرن الثانى».

ويعلق (موريس بوكاى) على هذا الكلام بقوله: يا له من اعتراف صريح بوجود التعديلات التى قام بها البشر على النصوص المقدسة! يا له من اعتراف ذلك الذى تقدمه لنه تأملات هذا العالم اللأهوتى الكبير[١]...

* * *

ويقول ابن حزم عن إنجيل لوقا إنه تاريخ ألفه لوقا الطبيب الأنطاكى تلميذ شمعون باطرة أيضا كتبه باليونانية بعد تأليف مارقس المذكور، يكون من قدر إنجيل متى[٢].. ومهنه الطب التى ينسبها ابن حزم إلى لوقا ليست موضع إجماع بين الباحثين بل منهم من يرى أنه كان مصورا لا طبيبا، وقد اتفق علماء النصارى أنه كتب باللغة اليونانية كما يقول ابن حزم[٣]، غير أن ابن خلدون يذكر – خطأ – أنه كتب باللغة اللاتينية[٤].

والمعلقون الذين تهمهم الموضوعية مضطرون للأعتراف مثلما فعل المعلقون على الترجمة المسكونية عموما، بأن «الاهتمام الأول (لدى لوقا) ليس هو وصف الأمور فى دقتها المادية...» إن الأب كانينجسر يقارن روايات «أعمال الرسل» وهى من تأليف هذا اللوقا نفسه، مع روايات أمور مماثلة عند بولس عن المسيح بعد قيامته ويقدم الرأى التالى عن لوقا: لوقا هو أكثر كتاب الأناجيل الأربعة إرهافا فى الحس وأكثرهم ميلا للأدب، إنه يتمتع بكل صفات الكاتب الروائى الحقيقى[٥]».

(١) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ٨٦ – ٨٧.

(٢) الفصل ٣/٢.

(٣) راجع أبا زهرة ٥٨.

(٤) أنظر على وافى: الأسفار المقدسة ٧٧.

(٥) بوكاى ٨٩.

أما إنجيل النصارى الرابع فيقول عنه صاحب الفصل: «تاريخ ألفه يوحنا بن سيذاى من تلاميذ المسيح بعد رفع المسيح ببضع وستين سنة وكتبه باليونانية، يكون أربعا وعشرين ورقة بخط متوسط[1].

ولهذا الإنجيل خطر وشأن أكثر من غيره في نظر الباحث، لأنه الإنجيل الذى تضمنت فقراته ذكرا صريحا لألوهية المسيح فهذه الألوهية يعتبر هو نص إثباتها وركن الاستدلال فيها[2].. والواقع أنه كتاب مختلف تماما عن الأناجيل الثلاثة الأخرى، مما جعل الأب روجى يقول عنه - بعد أن علق على الأناجيل الأخرى -: «إنه عالم آخر»[3].

ويتساءل علماء المسيحية - ونحن معهم -: من كاتب هذا الإنجيل؟؟ ويجيب (استادلن) فى العصور المتأخرة: «إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية، ولقد كانت فرقة الوجين فى القرن الثانى تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا[4].

ولقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية التى اشترك فى تأليفها خمسمائة من علماء النصارى ما نصّه: «أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولاشك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض. وهما القديسان يوحنا ومتى، وقد ادعى هذا الكاتب المزور فى متن الكتاب أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى، ووضعت اسمه على الكتاب نصا مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا، ولو بأوهى رابطة،

(١) الفصل ٣/٢.
(٢) أبو زهرة: النصرانية ٥٨.
(٣) بوكاى ٩٠.
(٤) أبو زهرة: النصرانية ٥٩.

ذلك الرجل الفلسفى – الذى ألف الكتاب من الجيل الثانى – بالحوارى يوحنا الصياد الجليل، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى[1]».

ونختم كلامنا على الأناجيل الأربعة بعبارة مهمة ختم بها باحث غربى دراسته عن الأناجيل، وهذه العبارة هى:

«إن فلسفة الإغريق، والقانون الرومانى جعلا الإنجيل لا يمثل حقيقه كما أثرا فى تدوينه، والباحث المنصف فى تاريخ الكنيسة لا يستطيع ولا لحظة واحدة أن ينكر أن آراء مزيفة، وأغراضا غير كريمة، ومقاصد خاطئة، كانت أسبابا رئيسية مسيطرة أحيانا، دفعت إلى هذا التبديل الذى حدث فى الأناجيل[2]».

٢ – ما سماه ابن حزم «الإفركسيس» والصحيح أن اسمه كما ذكر ابن خلدون «الإبركسيس» وهو كتاب أعمال الرسل أو تاريخ الرسل لأن كلمة «إبركسيس» صياغة عربية لكلمة Praxis اليونانية ومعناها عمل، ويبدو أن علماء المسلمين أثناء كتابتهم عن المسيحية كانت تصادفهم كلمات لم يتيسر لهم ترجمتها إلى العربية فصاغوها صياغة عربية وأضافوا إليها أحيانا ما يشرحها مثل هذه الكلمة، وكذلك كلمة الفارقليط أى المعزى بتشديد الزاى وكسرها[3].. وكتاب الإبركسيس أو أعمال الرسل كما يعرف فى الأوساط العلمية ألفه «لوقا» فى أخبار الحواريين وأخبار صاحبه بولس البنيامينى وسيرهم وقتلهم ويصف ابن حزم النسخة الموجودة فى عصره بأنها كانت خمسين ورقة بخط مجموع[4].

٣ – كتاب الوحى والإعلان: أو ما يقال عنه الآن (رؤيا يوحنا) ويصفه ابن حزم بأنه: كتاب فى غاية السخف والركاكة ذكر ما رآه فى الأحلام وإذ أسرى به وخرافات باردة...»[5].

---

(١) الموضع السابق

(٢) (نقلا عن د. أحمد شلبى: المسيحية ٢١٥).

(٣)انظر على وافى: مقدمة ابن خلدوان ٥٩٧/٢ (هامش)

(٤)الفصل ٣/٢.

(٥) الفصل ٣/٢.

٤ – الرسائل القانونية: ويطلق عليها الآن (الرسائل الكاثوليكية) وهى سبع رسائل – كما يذكر ابن حزم – ثلاث رسائل ليوحنا بن سيذاى، ورسالتان لباطرة شمعون (بطرس الرسول) ورسالة واحدة ليعقوب بن يوسف النجار (يعقوب الصغيرة من الحواريين الاثنى عشر، استشهد سنة ٦٢م) والأخرى لأخية يهوذا (أخو يعقوب الصغير) تكون كل رسالة من ورقة إلى ورقتين فى غاية البرد والغثاثة..[١].

٥ – رسائل بولس: وهى خمس عشرة رسالة تكون كلها نحو أربعين ورقة ورسائل بولس المعترف بها الآن أربع عشر رسالة – وليست خمس عشرة رسالة كما يذكر ابن حزم – وهى: رسالته إلى الرومان، ورسالتاه الأولى والثانية إلى أهل كورنثوس، ورسالته إلى أهل غلاطية، ورسالته إلى أهل إفسوس، ورسالته إلى أهل فيلبى، ورسالته إلى أهل كولوسى، ورسالتاه الأولى والثانية إلى أهل تسالونيكى، ورسالتاه الأولى والثانية إلى تلميذه تيموتاوس، ورسالته إلى تلميذه تيطس، ورسالته إلى تلميذه فيليمون، ورسالته إلى العبرانيين[٢].

المبحث الثانى: بيان ما فى الأناجيل من تناقض

يورد ابن حزم كثيرا من الأمثلة على التناقض الذى يوجد فى الأناجيل، ونحن نكتفى هنا بذكر بعض هذه النماذج التى وردت فى كتاب «الفَصْل» مشيرين إلى بعض الذين انتفعوا بتلك الدراسة من العلماء الذين أتوا بعد الإمام ابن حزم..

ومن هذه الأمثلة:

(أ) اختلاف الأناجيل فى نسب المسيح:

ورد نسب المسيح فى إنجيلى متى ولوقا بطريقة تعارض إحداهما الأخرى ويتعجب ابن حزم من متى صاحب الإنجيل الذى يزعم أنه سوف يذكر نسب المسيح ابن داود ابن إبراهيم ثم لم يأت إلا بنسب «يوسف النجار» زوج مريم، ويتساءل:

(١) الفصل ٣/٢.

(٢) راجع على عبد الواحد وافى: مقدمة ابن خلدون ٥٩٣/٢ (هامش)

كيف يقول إنه يذكر نسبة المسيح ثم يأتى بنسبة «يوسف النجار» والمسيح عنده – أى متى – ليس هو ولد يوسف أصلا، ولا مدخل للمسيح فى هذا النسب أصلا بوجه من الوجوه إلا أن يجعلوا المسيح ولد يوسف النجار وهم لا يقولون هذا[1]»!!

لا جرم أن ما فعله متى يحقق زعم طائفة من اليهود تقول إن المسيح هو ابن يوسف النجار وإلا فكيف يقول أنه يذكر نسب المسيح ثم يأتى بنسب يوسف النجار؟! ويقول ابن حزم: «ولو أنه ذكر نسب أمه مريم لكان لقوله مخرج ظاهر لكنه لم يذكر نسب مريم أصلا.. ثم لم يستح – متى – من أن يحقق ما ابتدأ به فبعد أن أتم نسب يوسف النجار قال من الرحلة إلى المسيح أربعة عشر أبا فجميع المواليد من إبراهيم إلى المسيح اثنان وأربعون مولودا، فأكد متى كذبه وأن المسيح ولد يوسف ولا بد ضرورة من أحدهما، وإلا فكيف يكون من الرحلة إلى المسيح أربعة عشر أبا، والمسيح ليس هو ابنا لأحدهم ولاهم آباء له فكيف يكون من إبراهيم إلى المسيح اثنان وأربعون مولودا ولا مدخل للمسيح فى تلك الولادات إلا كمدخله فى ولادات أهل الصين وأهل الهند.. ولا فرق، هذه فضائح الدهر (...) ونعوذ بالله من الخذلان[2]».

وقد تنبه إلى هذا الاعتراض أحد علماء فرنسا فى العصر الحديث عندما قال وهو يمهد للحديث عن نسب المسيح فى الأناجيل: «وبادئ ذى بدء يجب ملاحظة أن هذين النسبين – يعنى ما ذكره متى ولوقا – من جهة الرجال معدوم المعنى فيما يتعلق بالمسيح. ولو كان الضرورى إعطاء المسيح نسبا، وهو وحيد مريم (أمه) وليس له أب بيولوجى، فيجب أن يكون ذلك النسب من جهة مريم فقط»[3]

ومن هذا التناقض – الذى نبه إليه ابن حزم – بين الإنجليين فى نسب المسيح: أن متى ينسب المسيح إلى يوسف النجار ثم ينسب يوسف إلى الملوك من ولد

(١) الفصل ٢/٢٧.
(٢) الموضع السابق.
(٣) بوكاى ١٠٥.

سـليمان بن داود عليهما السـلام أبًا، فأبا.. ولوقا ينسب يوسف النجار إلى آباء غير الذى ذكر متى حتى يخرجه إلى ناتان بن داود أخى سليمان بن داود.. ولابد ضرورة من أن يكون أحد النسبين كذبا فيكذب متى أولوقا أولا بُدّ أنْ يكون كلا النسبين كذبا فيكذب (...) جميعا، ولا يمكن أن يكون كلا النسبين حقا[1]».

وهذا الاضطراب الذى وقع فى الأناجيل فى نسـب المسيح كان مثار اهتمام لكثير من العلماء فى القديم والحديث، وقد أورد الإمام رحمت الله الهندى هذا الخلط الذى ورد فى الأناجيل بشىء من التوضيح وبين أن من يقابل بين الأناجيل فى هذا النسب يجد الاختلاف من ستة أوجه:

١ – فى متى يوسف بن يعقوب، وفى لوقا أنه ابن هالى.

٢ – يعلم من متى أن عيسى من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام، ومن لوقا أنه من أولاد ناثان بن داود.

٣ – يعلم من متى أن جميع آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل سلاطين مشهورين، ومن لوقا أنهم ليسوا بسلاطين ولا مشهورين غير داود وناثان.

٤ – يعلم من متى أن شالتئيل بن يَكُنْيا، ويعلم من لوقا أنه ابن نِيرى،

٥ – يعلم من متى أن اسم ابن زَرُبَّابِل أبيهود، ومن لوقا أن أسمه ريسا. والعجيب أن أسماء بنى زربابل مكتوبة فى الإصحاح الثالث من السفر الأول من أخبار الأيام، وليس فيها أبيهود ولا ريَسا فالحق أنّ كُلاً مَنهُمُا غلط.

٦ – من داود إلى المسـيح عليهما السلام سـتة وعشـرون جيلا على ما بين متى وواحد وأربعون جيلا على ما بّين لوقا[2].

وواضح من هذا الاختلاف بين الإنجليين أحد أمرين:

أولهما: إما أن يكون إنجيل متى لم يكن مشـهورا معتبرا فى عهد لوقا إذ لو كان معروفا للوقا لراجعه وما خالف متى تلك المخالفة التى حيرت المحققين من القدامى والمتأخرين[3].

---

(١) الفصل ٢/ ٢٩

(٢) إظهار الحق ١١٤. وقارن – أيضا بين إنجيل متى الإصحاح الأول وإنجيل لوقا الإصحاح ٣: ٢٣ – ٢٨.

(٣) انظر: إظهار الحق ١١٧.

ثانيهما: أن أحد الإنجيلين لم يكون بإلهام بيقين، إذا فرضنا أحدهما صادقا والآخر كاذبا، فالكاذب لا شك لم يكن بإلهام، وإلا كان الإله الذى أوحى به كاذبا، وذلك لا يليق بحسب بداهة العقل، ولما كان الصحيح منهما غير متيقن فالشك يرد على الاتنين، حتى يثبت الصحيح، ويقوم الدليل على صدقه دون الآخر ومع هذا الشك لا يمكن الاعتقاد بأن ثمة إلهاما، لأن الشك إن اعترى الأصل زال الاعتقاد[1].

(ب) ويذكر ابن حزم أيضا دليلا على التناقص ما ورد فى إنجيل متى (أنه صلب معه لصان أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وكانا يشتمانه ويتناولانه محركين رؤسهما ويقولان يا من يهدم البيت ويبنيه فى ثلاث، سلم نفسك إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب[2]).

وفى إنجيل مرقس (أنه صلب معه لصان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله واللذان صلبا معه كانا يستعجزانه[3]).

وفى إنجيل لوقا (وكان أحد اللصين المصلوبين معه يسبه ويقول إن كنت أنت المسيح فسلم نفسك وسلمنا فأجابه الآخر وكشر عليه وقال أما تخاف الله وأنت فى آخر عمرك وفى هذه العقوبة فكوفئنا بما استوجبنا وهذا لا ذنب له، ثم قال ليسوع اذكرنى إذا نلت ملكك فقال له يسوع آمين أقول لك اليوم تكون معى فى الجنة[4]).

ويعلق ابن حزم على هذه النقول الإنجيلية بقوله: «إحدى القضيتين كذب بلاشك لأن متى ومرقس أخبرا بأن اللصين جميعا كانا يسبَّانه، ولوقا يخبر بأن أحدهما كان يسبه والآخر كان ينكر على الذى يسبه ويؤمن به، وليس يمكن ها هنا أن يدعى أن أحد اللصين سبه فى وقت وآمن به فى آخر، لأن سياق خبر لوقا يمنع من ذلك ويخبر أنه أنكر على صاحبه سبه إنكار من لم يساعده قط على ذلك وكلهم متفق على أن كلام

(١) أبو زهرة: النصرانية ١٠١.
(٢) متى ٢٧: ٣٨ – ٤٠.
(٣) راجع مرقس ١٥: ٣٧ – ٣٠.
(٤) راجع لوقا ٢٣: ٣٧ ٣٩ – ٤٤.

اللصين وهم مصلوبون على الخشب فوجب ضرورة أن لوقا كذب أو كذب من أخبره أو أن متى كذب وكذب مرقس أو الذى أخبره ولا بد[1]».

وقد ذكر الشيخ رحمه الله الهندى فى كتابه هذا الاختلاف وقال إن مترجمى التراجم الهندية المطبوعة سنة ١٨٣٩م وسنة ١٨٤٠م وسنة ١٨٤٦م حرفوا عبارة متى ومرقس وبدلوا المثنى بالمفرد لرفع الاختلاف، وهذه سجية لا يرجى تركها منهم. بيد أن الترجمة الحديثة للأناجيل الآن خلت من هذا التبديل الذى يشير إليه الشيخ فى الطبعات المذكورة، والاختلاف باق كما هو يتحدى القوم..

(جـ) ومما يؤكد تناقض الأناجيل عند ابن حزم ما ورد فى إنجيل متى أن مريم المجدلية ومريم الأخرى لما وصلتا إلى القبر نزل ملاك الرب ودحرج الحجر عن القبرة، وجلس عليه وقال، لا تخافا واذهبا سريعا بينما يذكر مرقس أنهما وسالومة لما وصلن إلى القبر رأين أن الحجر مد حرج، ولما دخلن القبر رأين شابا جالسا عن اليمين. أما لوقا فيبين أنهن لما وصلن وجدن الحجر مدحرجًا فدخلن ولم يجدن جسد المسيح فصرن محتارات، فإذا رجلان واقفان بثيات براقة[2]».

كما« يعلم من متى» أن الملك لما أخبر المرأتين أنه قد قام من الأموات ورجعتا لاقاهما عيسى ﷺ فى الطريق وسلم عليهما، وقال اذهبا وقولا لإخوتى أن يذهبوا إلى الجليل، وهناك يروننى، ويعلم من لوقا أنهن لما سمعن من الرجلين رجعن وأخبرن الأحد عشر وسائر التلاميذ بهذا كله، فلم يصدقوهن. وكتب يوحنا أن عيسى لقى مريم عند القبر[3]».

ولقد قدم الأب روجى فى كتابه «مقدمة إلى الإنجيل» (ص١٨٢) هذه القصة – ظهور المسيح بعد قيامته – كمثال للفوضى والاختلاف والتناقض الذى يسود الأناجيل فيقول: لا تتطابق تماما فى الأناجيل الثلاثة المتوافقة قائمة النساء الآتين إلى القبر.

(١) الفصل ٢/ ٥٧.
(٢) إظهار الحق ١٢٧.
(٣) الموضع السابق.

فليس هناك إلا امـرأة واحدة فى إنجيل يوحنا وهى مريم المجدلية ولكنها تتحدث بضمير الجماعة كما لو كانت لها رفيقات فهى تقول: «لا نعرف أين وضعوه».

أما فى إنجيل متى فملاك هو الذى يعلن للنسـاء أنهن سـيرين المسيح بالجليل. ولكن المسـيح بعد لحظة يقابلهن على مقربة من القبر. ولاشك أن لوقا قد شعر بهذه الصعوبة وعدل قليلا فى مصـدره، ويقول الملاك: «تذكرون كيف تحدث إليكن عند ما كان بالجليل..» والواقع أن لوقا لا يشـير إلا إلى ظهور المسـيح ثلاث مرات بعد قيامته..» – «أما يوحنا فيقول إنه ظهر مرتين على ثمانية أيام بمجمع بيت القدس، ثم فى المرة الثالثة يظهر بالقرب من البحيرة.. إذن بالجليل. وأما متى فإنه يتحدث عن مرة واحدة لظهور المسـيح بالجليل» ويسـتبعدِ المعلق من هذه الدراسـة خاتمة إنجيل مرقس التى عن ظهور المسيح لأنه يعتقد أنها «كتبت بقلم آخر[1]».

ويلاحـظ أ. كولمان فى كتابة «العهـد الجديد» التناقضات بين لوقا ومتى: فالأول يقول بظهور المسيح فى الناصرة أما الثانى فيقول إنه ظهر بالجليل.

أمـا فيما يخص التناقض بين لوقا ويوحنا فلنذكـر أن الحدث الذى يرويه يوحنا (الإصحاح ٢١، الآيات من ١ إلى ١٤) عن ظهور المسـيح للصيادين بعد قيامته على شـاطئ بحيرة طبرية وحصولهم بعد ذلك على سـمك كثير حتى إنهم لا يستطيعون حملـه، ليـس إلا رواية معادة لنفس حـدث معجزة الصيد بنفـس المكان فى حياة المسيح فى رواية لوقا (الاصحاح الخامس، الآيات من ١ إلى ١١).

ومـن عجـب أن الأب روجـى فى كتابه – مقدمـة إلى الإنجيل – يـرى «أن هذا التفـكك، هذا الغموض، هـذا الاختلال يبعث على الثقة عنـده» فكل ذلك يثبت أن المبشرين لم يتشاوروا فيما بينهم وإلا أعوزهم أن يوفقوا بين ما كتبوا.

ويتساءل بوكاى: «كيف ننتهى إلى إقامة هذا الفرض فى مواجهة هذه الكثير من التناقضات والأمور غير المعقولة فى رواية الأحداث[2]؟!

---

(١) بوكاى: الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ١٢١.

(٢) المرجع السابق ١٢٣.

(د) وقد يوجد التناقض فى الإنجيل الواحد كما ورد فى إنجيل متى (١٦ : ١٩ – ٢٠) أن المسيح قال لبطرس إليك أبرأ بمفاتيح السموات فكل ما حرمته فى الأرض يكون محرما فى السموات وكل ما أحللته على الأرض يكون حلالا فى السموات).

وبعد هذا الكلام بأسطر قال المسيح لبطرس نفسه: «اتبعنى يامخالف ولا تعارضنى فإنك جاهل بمرضاة الله وإنما تدرى مرضاة الآدميين»

ويقول ابن حزم: «فى هذا الفصل على قلته (...) سوأتان عظيمتان إحداهما أنه برىء إلى باطرة (بطرس) بمفاتيح السموات وولاه خطة إلهية التى لا تجوز لغير الله تعالى وحده لا شريك له من أن كل ما حرمه فى الأرض كان حراما فى السموات وكل ما حلله فى الأرض كان حلالا فى السموات. والثانية أنه إثر براءته إليه بمفاتيح السموات وتوليته خطة الربوبية (إما شريكا لله تعالى فى التحريم والتحليل وإما منفردا دونه ﷻ بهذه الصفة) قال له فى الوقت أنه مخالف معارض له جاهل بمرضات الله ﷻ لا يدرى إلا مرضات الآدميين فى الله لئن كان صدق فى الآخرة لقد حزق فى الأولى إذ ولى ما لا ينبغى إلا الله تعالى جاهلا بمرضات الله تعالى مخالفا له لا يدرى إلا رضاء الناس، وإن هذه لسوأة الأبد إذ من هذه صفته لا يصلح أن يبرأ إليه بمفاتيح (...) أو بيت زبل، لئن كان صدق وأصاب فى الأولى لقد كذب فى الثانية والله ما قال المسيح قط شيئا مما ذكروا عنه فى الأولى لأنها مقالة كافر شر خلق الله – ﷻ – وما يبعد أنه قال له الكلام الثانى..»[1].

ثم يذكر ابن حزم أن هذا النص يتعارض أيضا مع نص آخر فى الإنجيل فيقول: ثم عجب ثالث أننا قد ذكرنا قبل أن فى الباب الثانى عشر من إنجيل متى أن المسيح أشرك مع باطرة فى هذه الخطة التى أفرده بها ها هنا سائر الاثنى عشر تلميذا وفى جملتهم السارق الكافر الذى دل عليه اليهود برشوة ثلاثين درهما أخذها منهم وأنه قال لجميعهم (ما حرمتموه فى الأرض كان حراما فى السموات وما حللتموه

(١) الفصل ٤٦/٢.

فى الأرض كان حلالا فى السموات) ويعلق ابن حزم على هذا النص الأخير قائلا: «فياليت شعرى كيف يكون الحال إن اختلفوا فيما ولاهم من ذلك، فأحل بعضهم شيئا وحرمه آخر منهم، كيف يكون الحال فى السموات وفى الأرض، ولقد يقع أهلهما مع هؤلاء (...) فى شغل وفى حرمة وحل معًا، فإن قيل لا يجوز أن يختلفوا قلنا سبحان الله وأى خلاف أعظم من تحليل يهوذا إسلامه إلى اليهود وأخذه ثلاثين درهما رشوة على ذلك!! ولعمرى لقد رذلت هذه المنزلة عند هؤلاء الأراذل حقا إذ يليها السراق ومن لا خير فيه.. - تعالى الله - والله لو دكت الجبال والأرض وخرت السموات العلى، وصعق بكل ذى روح عند سماع كفر هؤلاء الخساس لما كان ذلك بكبير[1]».

وقد أورد الشيخ رحمه الله الهندى هذا التناقض فى كتابه، ونقل ما ذكره علماء البروتستنت فى رسائلهم من أقوال قدماء المسيحيين فى ذم بطرس فمنها أن بطرس كان به داء التجبر والمخالفة الشديدة وكان ضعيف العقل، ومنها أن (أكستاين) يقول: «إنه كان غير ثابت لأنه كان يؤمن أحيانا ويشك أحيانا» ويعلق الشيخ رحمه الله بقوله: من كان متصفا بهذه الصفات أيكون مالكا لمفاتيح السموات أو يكون الشيطان بحيث لن تقوى عليه أبواب النيران[2]؟.

(هـ) جاء فى إنجيل (٥: ٣١)) (ولا أقوى أن أفعل من ذاتى شيئا لكن أحكم بما أسمع وحكمى عدل لأنى لست أنفذ إرادتى إلا إرادة أبى الذى بعثنى فإن كنت أشهد لنفس فإن شهادتى غير مقبولة ولكن غيرى يشهد لى) ثم قال فى الآية الرابعة عشر من إنجيل يوحنا (إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق) ولا ريب أن الخلط واضح بين النصين[3].

(و) جاء فى إنجيل متى (١٢: ٤٠) (فكما أن يونس النبى كان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، وكذلك يكون ابن الإنسان فى جوف الأرض ثلاثة أيام بلياليها).

---

(١) الموضع السابق

(٢) إظهار الحق ١٣١.

(٣) راجع الفصل ٢/٧٠

وفى جميع أناجيلهم أنه دفن قرب مغيب الشمس من يوم الجمعة مع دخول ليلة السبت وقام من القبر قبل الفجر من ليلة الأحد فلم يبق فى جوف الأرض إلا ليلة وبعض أخرى ويوما ويسيرا من يوم ثان فقط، وهذه كذبة لإخفاء بها فيما أخبر به المسيح لابد منها أو كذب أصحاب الأناجيل[1]».

(ز) ورد فى إنجيل[2] متى (فبينما يسوع يقول هذا إذ أقبل إليه أحد أشراف ذلك الموضع وقال له إن ابنتى توفيت وأنا أرعب إليك أن تذهب إليها وتمسها بيدك لتحيى) ثم ذكر أنه (لما دخل بيت القائد وأبصر بالنوايح والبواكى قال لهن اسكتن فإن الجارية لم تمت ولكنها راقدة فاستهزأت الجماعة به ولما خرجت الجماعة عنها دخل وأخذ بيدها ثم أقامها حية) وذكر هذه القصة لوقا فى إنجيله (٨-٤١ : ٥٦) فقال: «إياها قال له قد أشرفت على الموات وأنه نهض معه فلقيه رسول يخبره بأن الجارية قد ماتت فعلا تعنه[3] - وأن المسيح قال لأبيها لاتخف وآمن فتحيى فلما بلغا البيت لم يدخل معه فى البيت إلا باطرة ويوحنا ويعقوب وأبو الجارية وكانت الجماعة تبكى وتلتدم فقال لهم لا تبكوا فإنها راقدة وليست ميتة فاستهزؤوا به لمعرفتهم بموتها فأخذ بيدها ودعاها وقال يا جارية قومى فانصرف عنها زوجها وقامت من وقتها وأمر أن تطعم طعاما وجاء أبواها وأمرهما أن لا يعلما أحدا بما فعل) وذكر هذا الباب الخامس من إنجيل مرقس..

ويقول ابن حزم تعليقا على هذه القصة التى روتها الأناجيل: «فى هذا الفصل مصائب جمة أحدها كان يكفى أنه إنجيل موضوع مكذوب:

أولها: حكايتهم من المسيح أنه كذب جهارا إذ قال لهم لم تمت إنما هى حية راقدة ليست ميتة فإن كان صادقا فى أنها ليست ميتة فلم يأت بآية ولا بعجيبة وحاشا لله أن يكذب نبى فكيف إله، وليس لهم أن يقولوا إن الآية هى إبراؤها من

(١) راجع الفصل ٢/ ٤٤.

(٢) راجع متى ٩: ١٩ - ٢٣.

(٣) فى الترجمة الحديثة: «فلا تتعب المعلم»

الإغمـاء لأن فى نص إنجيلهم أنه قال لأبيها آمن فتحيى ابنتك فلابد من الكذب فى أحد القولين.

والثانية: أن متى ذكر أن أباها جاء إلى المسـيح وهـى قد ماتت وأخبره بموتها ودعـاه ليحييها ولوقا يقول إن أباها أتى إلى المسـيح وهى مريضة لم تمت وأتى به ليبريها بعد وأن الرسـول لقيه فى الطريق وقـال له لا تعنه فقد ماتت فأخذ النذلين كاذب بلاشك ولا يجوز أخذ الدين على كذاب[1].

المبحث الثالث: بيان ما فى الأناجيل من كذب

وهـذا مبحث يطول اسـتقصاؤه، فقد ذكـر الإمام ابن حزم عشـرات الأمثلة على الكذب الذى تضمنه الأناجيل بين جنباتها.. مما يدل دلالة قاطعة على أنها موضوعة باطلة، خالية من الوحى والإلهام كما يزعم أصحابها..

ومـن هذه الأمثلة التى أوردها ابن حزم فـى كتابه الفصل دليلا على الكذب الذى تشتمل عليه الأناجيل ما يلى:

(أ) ماورد فى إنجيل متى[2]: أن المسـيح جمع إلى نفسـه اثنى عشـر رجلا من تلاميذه وأعطاهم سـلطانا على الأرواح النجسـة أن ينفوها وأن يبرئوا من كل مرض، وذكر من هؤلاء التلاميذ يهوذا الاسخريوطى الذى دل على المسيح بعد ذلك..

والإمام ابن حزم ينكر أن يعطى المسيح – ﷺ – هذا السلطان لأناس فيهم يهوذا الـذى صرح الإنجيل بأنه هـو الذى دل عليه بعد ذلك اليهـود حتى أخذوه وصلبوه بزعمهم وضربوه بالسياط ولطموه واستهزؤا به وقد كذبوا – لعنهم الله – فكيف يجوز أن يقرب الله تعالى ويعطى السلطان على الجن والإبراء من كل مرض من يدرى أنه هو الـذى يدل عليه ويكفر بعد ذلك؟! هذا مع قول يوحنا فى إنجيله أن يهوذا المذكور كان سـارقا وأنه كان يخطف كل ما كان يهدى إلى المسيح ويذهب به، فلابد ضرورة من أحد وجهين بلا ثالث أصلا: إما أن يكون المسـيح اطلع على ما اطلع عليه يوحنا

(١) الفصل ٢/٢٥.

(٢) الفصل العاشر

من سـرقة يهوذا وخبـث باطنه وأعطاه مع ذلك الآيات والمعجزات وجعله واسـطة بينـه وبين الناس وجعله أن يحرم ويحلل فيكـون ما حرم وحلل محرما ومحللاً فى السـموات؛ فهذه مصيبة وتوقيع بالكفار، وتقديم لمن لا يستحق، وسخرية بالدين، وليـس هذه صفـة الإله ولا من فيه خير.. أو يكون خفى على المسـيح من خبث نية يهوذا ما عرف غيره فهذه عظيمة أن تكون الإله يجهل ما خلق، فهل سمع قط بأحمق من هذه القصص وممن يعتقدها حقا[1]..؟!!

(ب) وفـى إنجيل متى (١٧ : ١٩) أن المسـيح قال لتلاميذه (لئـن كان لكم إيمان على قدر حبة الخردل لتقولن للجبل ارحل من هنا فيرحل ولا يتعاصى عليكم شىء) وقبلـة متصلا به أن تلاميذه قالوا له لم عجزنا نحن عن إبرائه؟ قال لتشـككم) وفى إنجيل يوحنا (١٤ : ١٢) أن المسيح قال لتلاميذه: (من آمن بى سيفعل الأفاعيل التى أفعلها أنا وسيفعل أعظم منها)..

ويناقـش ابن حزم كلام الأناجيل بقولـه: «... لا يخلو التلاميذ المذكورون – ثم الأشقياء بعدهم إلى اليوم – من أن يكونوا مؤمنين بالمسيح أو غير مؤمنين ولا سبيل إلى قسـم ثالث فإن كانوا مؤمنين فقد كذب المسـيح فيما وعدهم به فى هذه الفصول جهارا، وحاشـا له من الكذب، وما منهم أحد قط قدر أن تأتمر له ورقة فكيف على قلـع جبـل وإليقائه فى البحر؟ وإن كانـوا غير مؤمنين به فهـم بإقرارهم هذا كفار ولابد أن يجيبوا إذا سألناهم أفى قلوبكم مقدار حبة خردل من إيمان أم لا؟ وتؤمنون بالمسـيح أم لا؟ فـإن قالوا: نعم نحن مؤمنون به، والإيمان فـى قلوبنا، قلنا: كذب المسيح – يقينا – فيما أخبر به من أن من فى قلبه مقدار حبه خردل من إيمان يأمر الجبـل بأن ينقلع فينقلـع، والله ما منكم أحد يقدر على قلـع جبل من موضعه، وإن قالوا: ليس فى قلوبنا قدر حبة خردل من إيمان، ولا نحن مؤمنون به، قلنا: صدقتم والله حقا: ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ (سـورة الأعراف) صدق الله ﷻ وكذب متى وباطرة (بطرس) ويوحنا ومرقس ولوقا وسائر النصارى الكذابون[2]..

(١) الفصل ٢/٣٨.
(٢) الفصل ٢/ ٤٩.

وقـد ذكر الإمام رحمه الله الهندى هذه النصوص وعلق عليها بقوله: من قال لهذا الجبل إلخ.. عام لا يختص بشـحص دون شخص، وزمان دون زمان، وكذا قوله: من يؤمن بى عام لا يختص بشخص دون شخص وبزمان، وتخصيص هذه الأمور بالطبقة الأولى لا دليل عليه غير الادعاء البحث فلا بد أن يكون الآن أيضا من قال لجبل انطرح فى البحر ولا يشك فى قلبه فيكون له مهما قال، وأن يكون من علامة من آمن بالمسيح فى هذا الزمان أيضا الأشياء المذكورة.. وأن يفعل مثل أفعال المسيح بل أعظم منها، والأمر ليس كذلك، وما سـمعنا أن أحدا من المسـيحيين فعل أفعالا أعظم من أفعال المسيح لا فى الطبقة الأولى ولا بعدها، فقوله ويعمل اعظم منها غلط يقينا لا مصداق له فى طبقة من طبقات المسيحيين، والأعمال التى تكون من أعمال المسيح ما صدرت عن الحواريين وغيرهم من الطبقات التى بعدهم، وعلماء البروتسـتنت معترفون بأن صدور خوارق العادات بعد الطبقة الأولى لم يثبت بدليل قوى، ورأينا فى الهند عمدة زمرة المسـيحيين أعنى العلماء من فرقة الكاثوليك والبروتستنت يجتهدون فى تعلم لغتنـا الأوردية مدة ولا يقدرون على التكلم بهذه اللغة تكلما صحيحا، ويسـتعملون صيغ المذكر فى المؤنث، فضلا عن إخراج الشـياطين وحمل الحيات وشـرب السموم وشـفاء المرضى، فالحق أن المسـيحيين المعاصرين لنا ليسـوا بمؤمنين بعيسى عليه السلام حقيقة، ولذلك ترى الأمور المذكورة مسلوبة عنهم..[1]»

(جـ) وفى إنجيل متى أن المسـيح عليه السلام قال لتلاميذه: (إن دخول الجمل فى سـم الخياط أيسر من دخول الغنى فى ملكوت الله...[2])

ويقـول ابـن حزم: « هذا قطع من كلامه بأن كل غنـى فإنه لا يدخل الجنة أبدًا، وفى أتباعه أغنياء كثيرة، وما رأينا – قط – أمة أحرص على جمع المال من الدراهم وغير ذلك وادخاره ومنعه دون أن ينتفعوا منه بشـىء ولا أن يتصدقوا منه بشـئ من الأساقفة والقسيسين والرهبان، فى كل دير، وكل كنيسة، وفى كل بلد، وكل وقت،

(١) إظهار الحق ١٦٤.
(٢) متى ١٩ : ٢٤.

فعلى موجب كلام إلههم أنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط، فهذا والله حق وإنا على ذلك من الشاهدين[1]».

(د) ويذكر ابن حزم أيضا دليلا على كذب الإنجيل ما جاء فى إنجيل مرقس أن (بطرس) قال ليسوع المسيح ها نحن قد خلينا الجميع واتبعناك فأجابه يسوع وقال له (آمين أقول لكم ليس من أحد ترك بيتا أو إخوة وأخوات أو والدًا أو والدة أو أولادا لأجل الإنجيل إلا يعطى مائة ضعف مثله الآن فى هذا الزمان من البيوت والإخوة والأخوات والأمهات والأولاد والفدادين مع التبعات وفى العالم الكائن الحياة الدائمة[2]).

ويعلق ابن حزم رضى الله عنه بقوله: «هذا موعد كاذب مضمون لا يمكن الوفاء به، وهبك يخرجون هذا على أنه يعوض هذا من أهل دينه أولادًا وإخوة وأخوات وأمهات، كيف الحيلة فى وعده من آمن به وترك ماله أن يعوض عن الفدان الذى يتركه مائة فدان، وعن البيت مائة بيت، الآن عاجلا فى الدنيا سوى ماله فى الآخرة[3].

(هـ) ومن الأمثلة التى أوردها ابن حزم على الكذب والبهتان الذى يوجد بأناجيل النصارى ما ورد فى إنجيل يوحنا، (ويوما آخر رأى يحيى المسيح مقبلا إليه فقال هذا صار خروف الله[4]).

ويقول ابن حزم: هذه طامة أخرى بينما كان كلمة الله وابن الله وإلها يخلق صار خروف الله، وحاشا لله أن يضاف إليه خروف إلا على سبيل الخلق والملك إنما يضاف الخروف إلى من يتخذه للأكل أو الذبح أو لمن يربيه للعجلة أو لصبى يلعب به ويصبغه بالحنا، وتعالى الله ﷻ عن كل هذا، فصح أنها من عمل عيار مستخف[5]».

(١) الفصل ٢/٦٠.

(٢) متى ١٩ : ٢٨ – ٣٠.

(٣) الفصل ٢/٦١.

(٤) فى الترجمة الحديثة (يوحنا ١/٢٩): «هذا حمل الله»

(٥) الفصل ٢/٦٤.

(و) وفى إنجيل يوحنا أن المسيح قال: (أنا أميت نفسى وأنا أحييها) ويعلق ابن حزم على العبارة بقوله: فليت شعرى كيف يمكن أن يحيى نفسه وهو ميت[1]؟!!.

المبحث الرابع: بيان إبطال ألوهية المسيح من نصوص أناجيلهم

أورد الإمام ابن حزم بعض النصوص التى وردت فى الأناجيل وتبطل دعوى ألوهيته ومن هذه الأمثلة:

(أ) ما ورد فى إنجيل متى ومرقس[2] ولوقا أنه قبل أخذه (سجد ودعا وقال يا أبى كل شىء عندك ممكن فاعفنى من هذه الكأس لكن لا أسأل إرادتك) زاد لوقا فى إنجيله قال (فتراءى له ملك السيد معزيا له فأطال صلاته حتى سال العرق منه وتساقطت نقطة كتساقط نقط الدم إذا انسكب فى الأرض) وفى إنجيل متى ومرقس[3] (أنه صاح بأعلى صوته وهو مصلوب إلهى إلهى لم أسلمتنى ثم فاضت نفسه).

ويقول ابن حزم – عليه سحائب الرحمة – «فيا للناس أهذه صفة إله؟ وهل يحتاج الإله إلى ملك يعزيه؟ وهل يدعو الإله فى أن يصرف عنه كأس المنية؟ وإله يعرق من صعوبة الحال إذا أيقن بالموت؟ وإله يسلمه إله؟ أفى الحمق شىء يفوق هذا؟ فإن قالوا لنا: إنما هذا كله خبر عن الطبيعة الناسوتية، قلنا لهم: أنتم تقولون فى كل هذا فعل المسيح، وقال المسيح والمسيح عندكم طبيعتان ناسوتية ولا هوتية، وعند اليعقوبية منكم طبيعة واحدة وكلكم تقولون إن اللاهوت اتحد بالناسوت، فأنتم كذبتم وأنتم طرقتم إلى هذا وأنتم أضفتم كل هذا إلى اللاهوت، وإنما كان الحق على أصلكم هذا الملعون أن تقولوا: فعل نصف المسيح، قال نصف المسيح، فعلى كل حال قد كذبتم... وفى هذا كفاية لمن عقل[4]».

---

(١) الفصل ٢/٧٣.

(٢) انظر متى ٢٦: ٣٩ ومرقس ١٤: ٣٥ – ٣٦.

(٣) متى ٢٧: ٤٦ ومرقس ١٥ : ٣٤.

(٤) الفصل: ٢/٦٦.

(ب) وفـى إنجيل لوقا[1]: (فلما بلغوا إلى الموضع الذى يدعى الأجرد صلبوه فيه وصلبوا معه السارقين العابثين عن يمينه وشماله فقال يسوع يا أبتاه اغفر لهم لأنهم يجهلون ما يصنعون ولا يدرون فعلهم).

ويعلق أبو محمد بن حزم بقوله: فى هذا الفصل شـنعتان عظيمتان على النصارى كافيتان فى بيان فساد كل ما هم عليه جهارا:

أولها: أن نسـألهم فتقول لهم: المسـيح إله عندكم أم لا؟ فمن قولهم، نعم، فيقال لهم: فإلى من من دعا ورفع طلبته؟ فإن كان دعا غيره فهو إله يدعو إلها آخر، وهذا شـرك وتغاير بين الآلهة، وهم لا يقولون هذا، وإن كان دعا نفسـه فهذا هوس، إنما حكمة أن يقول: قد غفرت لكم وهم يصرحون فى الأناجيل بأنه يغفر ذنوب من شـاء فأين كان عن هذه الصفة إذ دعا إلها غيره.

والثانيـة: أن يقال لهم هل أجيبـت دعوته هذه أم لا؟ فإن قالوا: لم تجب دعوته قلنـا ليس فى الخزن أكثر من إله يدعو فلا يسـتجاب له، ولا فى النحس فوق هذا، وعلى هذا فما بيده من الربوبية إلا (...) كما بيد سائر المخلوقين يدعو فيجاب مرة ولا يجاب مرة، وإن قالوا بل أجيبت دعوته قلنا لهم فاعلموا أنكم وأسلافكم كلكم فى سبكم اليهود الذين صلبوه ظالمون لهم، وكيف يستحلون سب قوم قد غفر لهم إلههم وأسقط عنهم الملامة فى صلبهم له[2]؟.

(جـ) وفى إنجيل متى أن (المسـيح قال فمن ذلك اليوم وذلك الوقت لا يدرى أحد مـا بعده لا الملائكة ولا أحـد غير الأب وحده) وفى إنجيل مرقس أن المسـيح قال (السموات والأرض تذهب وكلامى لا يبيد أبدا، ومن ذلك اليوم وتلك الساعد لا يدرى أحد ما بعده ولا الملائكة فى السـماء ولا ابن الإنسان ما عدا الأب) ويقول ابن حزم: – رضى الله عنه – هذا الفصل يوجب ضرورة أن المسيح هو غير الله تعالى لأنه أخبر

(١) لوقا ٢٣: ٣٣ – ٣٤.

(٢) الفصل ٢/٦٥.

أن ها هنا شيئا يعلمه الله تعالى ولا يعلمه هو، وإذا كان بنص إنجيلهم: الابن لا يعلم متى الساعة والأب يعلم متى هى، فبالضرورة القاطعة نعلم أن الابن غير الأب، وإذا كان ذلك فهما اثنان متغايران أحدهما يجعل ما لا يجهله الآخر، وهذا الشرك الذى عليه يحومون وهذا ما يبطله العقل أن يكون إلها أحدهما ناقص، فصح ضرورة أن من هو غير الله تعالى فهو مخلوق مربوب وبطل هوسهم وتخليطهم، أو يكذبوا المسيح فى هذا الفصل ولابد[1].

(د) وفى إنجيل متى أن المسيح قال لهم (أنا ذاهب إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم) فما نرى للمسيح من البنوة لله تعالى إلا ما لسائر الناس ولا فرق، فمن أين حصره بأنه ابن الله – ﷻ – دون سائرهم كلهم إلا إن كذبوه فى هذا القول فليختاروا أحد الأمرين ولابد.. ثم من أين خصوا كل من سوى المسيح بأن الله تعالى إلهه ولم يقولوا إن الله إله المسيح كما قال هو بلسانه فلابد ضرورة من الإقرار بأن الله هو إله المسيح، وأن سائر الناس أبناء الله تعالى أو يكذبوا المسيح فى نصف كلامه وحسبك بهذا فسادا وضلالا[2]...

ثم يقول ابن حزم: كثير ما يحكون فى جميع الأناجيل فى غير ما موضع أنه إذا أخبر المسيح عن نفسه سمى نفسه ابن الإنسان ومن المحال والحمق أن يكون الإله ابن إنسان أو يكون ابن إله وابن إنسان معا، وأن يلد إنسان إلها ما فى الحمق والمحال والكفر أكثر من هذا[3].

إذا كان ابن حزم فى كتابه الفصل قد أورد النصوص التى تنفى ألوهية المسيح فإنه يورد كذلك النصوص الإنجيلية التى تثبت له النبوة والرسالة..

(أ) من ذلك ما يرويه لوقا[4] فى إنجيله: (أن العامة كانت تشهد للمسيح وتعجب لقوله وتقول أما هذا ابن يوسف النجار فقال لهم نعم قد علمت أنكم ستقولون لى يا

(١) الفصل ٢/٥٦.
(٢) الفصل ٢/٣٦. ط صبيح.
(٣) الفصل ٢/٣٧ط ط صبيح.
(٤) لوقا ٤ : ٢٤.

طبيب داو نفسك وافعل فى موضعك كما بلغنا أنك فعلته بكفر ناحوم أمين أقول لكم إنه لا يقبل أحد من الأنبياء فى موضعه).

فالعبارة الأخيرة تدل دلالة واضحة على نبوته ﷺ، ولذلك يقول ابن حزم: وهذا مما أفلت من تبديلهم وأبقاه الله ﷻ حجة عليهم والحمد لله رب العالمين[1].

(ب) وفى إنجيل يوحنا[2] أنه لما أطعم الخمسة آلاف إنسان من خمس أرغفة وحوتين وفضل من شبعهم اثنتا عشرة سلة من خبز قال الجماعة هذا النبى حقا.

ويقول الإمام ابن حزم: فيا للعجب هلا قالوا فيه مثل هذا القول ولو مرة واحدة[3]؟!!.

المبحث الخامس: العوامل التى أدت إلى التحريف

ولكن ما العوامل التى أدت إلى تحريف الأناجيل وفسادها؟

يرى الإمام ابن حزم فى كتابه الفصل أن هذا الاضطراب الذى فى كتب النصارى مرده لأمرين هامين:

أولها: الاضطهادات التى وقعت على المسيحيين..

ثانيهما: اعتناق أصحاب العقائد الوثنية للديانة المسيحية..

- الاضطهادات وأثرها على الأناجيل:

ويقول صاحب الفصل عن هذا الأمر: (وأما النصارى فلا خلاف بين أحد منهم ولا من غيرهم فى أنه لم يؤمن بالمسيح فى حياته إلا مائة وعشرون رجلا فقط هكذا فى الإفركسيس – أعمال الرسل – ونسوه، منهم امرأة وكيل هردوس وغيرها كن ينفق عليه أموالهن هكذا فى نص إنجيلهم، وأن كل من آمن به فإنهم كانوا مستترين مخافين فى حياته – المسيح – وبعده يدعون إلى دينه سرا ولا يكشف أحد منهم وجهه إلى الدعاء

(١) الفصل ٢/٥٩.

(٢) يوحنا ٦: ١٠-١٣.

(٣) الفصل ٢/٧٠.

إلـى ملته، ولا يظهر دينـه، وكل من ظفر به منهم قتل إما بالحجارة كما قتل يعقوب بن يوسـف النجار وأشطيبين الذى يسـمونه بكر الشهداء وغيره، وإما صلب كباطرة، وأندرياس أخوه، وشـمعون أخو يوسـف النجار، وبولس وغيرهما أو قتلوا بالسـيف كما قتل يعقوب أخو يوحنا وطومار ويهوذا بن يوسف النجار ومتى، أوبالسم كما قتل يوحنا بن سـيذاى.. فبقوا على هذا الحالة لا يظهرون البتة ولا لهم مكان يأمنون فيه مدة ثلاثمائة سنة بعد رقع المسيح ﷺ، وفى خلال ذلك ذهب الإنجيل المنزل من عند الله ﷻ إلا فصولا يسيرة أبقاها الله تعالى حجة عليهم وخزيا لهم. فكانوا كما ذكرنا إلى أن تنصر قسطنطين الملك فمن حينئذ ظهر النصارى وكشفوا دينهم..[1]).

والحق أن اضطهاد النصارى الذى يتحدث عنه ابن حزم بدأ منذ عهد مبكر، ولعل أبشع حركات الاضطهاد التى عاناها المسيحيون فى القرن الأول تلك التى أنزلها بهم نيرون الطاغية (٦٨م) فقد ألقى بعضهم للوحوش الضارية تنهش أجسـامهم وأمر فطليت أجسـام بعضهم بالقار وأشتعلت لتكون مصابيح بعض الاحتفالات التى يقيمها نيرون فى حدائق قصره[2].

وفـى القـرن الثانى كان المسـيحيون يعتبرون أنجاسـا لا يسـمح لهـم بدخول الحمامـات والمحال العامـة وكانوا - كما حصل فى عهد نيـرون - يلقون للوحوش الضارية تفترسـهم، فى مدرج عام يضم خصومهم الذين يحضرون للتلهى بمشـاهدة هذه المظاهر[3].

وسجل القرن الثالث صورا أخرى من أبشع ألوان التعذيب والاضطهاد للمسيحيين وذلك فى عهد الإمبراطور دقلديانوس. فقد أمر بهدم كنائس المسيحية وإعدام كتبها المقدسة وآثار آبائها. وقرر اعتبار المسحيين مدنسين سقطت حقوقهم المدنية، وأمر بإلقاء القبض على الكهان وسائر رجال الدين، وتجريعهم العذاب ألوانا ونفذت هذه

(١) الفصل ٢١/٢.

(٢) زكى شنودة: تاريخ الأقباط ١٠١/١.

(٣) توفيق الطويل: قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام ٣٥.

التعليمات فى جميع المناطق، فامتلأت السجون بالمسيحيين، واستشهد الكثيرون بعد أن مزقت أجسادهم بالسياط والمخالب الحديدية، أو أحرقت بالنار، أو قطعت إرْباَ، أو طرحت للوحوش الضارية، أو غير ذلك من وجوه التعذيب، وقد سمى عصره (٢٨٤ - ٣٠٥) عصر الشهداء[١].

وهذا الاضطهاد الذى استمر حتى مطلع القرن الرابع كان له أثر بالغ على أناجيل النصارى واضطرابها وانقطاع سندها إلى أصحابها، حيث يقول العلامة رحمت الله الهندى: «طلبنا مرارًا من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه، واعتذار بعض القسيسين فى محفل المناظرة التى كانت بينى وبينهم، فقال: إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلثمائة وثلاث عشرة سنة، وتفحصنا فى كتب الإسناد لهم فما رأينا فيها شيئا غير الظن والتخمين، يقولون بالظن ويمتسكون ببعض القرائن، وقد قلت إن الظن فى هذا الموضع لا يغنى شيئا، فمادام لم يأتوا بدليل شاف وسند متصل فمجرد المنع يكفينا، وإيراد الدليل فى ذمتهم لا فى ذمتنا[٢].

وفى الحق أن تلك الاضطهادات جعلت كل عمل يقومون به فى شئونهم الدينية - خاصة ما كان متصلا ببيان الشريعة يقومون به سرا لا جهرا، وفى خفية من العيون المتربصة، والأعداء المترقبين، والسرية يحدث فى ظلمتها ما يجعل العقل غير مطمئن إلى مايحكى عما يحدث فيها، فيتظنن فى كل مايروى عنها، ولا مانع من أن يدس على اجتماعاتها ما لم يجر فيها، وينقل عن أشخاصهم ما لم يقولوه، ويتسامع الجمهور أمورا ما حدثت فى تلك الاجتماعات، ولا قالها حاضروها فإذا جرى الشك والريب فيما دون من كتب المسيحية التى فقدت سندها بسبب هذا الاضطهاد، والتى كتبت فى ظلمة السرية يكون قد وقع حيث وجدت دواعية، وقامت شواهده[٣].

(١) المرجع السابق٤٠.

(٢) إظهار الحق ٨٣.

(٣) أبو زهرة: محاضرات فى النصرانية ٣٨ - ٣٩.

- اعتناق أصحاب العقائد الوثنية للديانة المسيحية:

يقرر ابن حزم أن من عوامل فساد دين النصارى وتحريف كتبهم تلك الطوائف «المدلسة» – كما يسميها والتى فشى دخولها فى المسيحية عندما تنصر قسطنطين واستطاعوا أن يدخلوا على عقائد النصارى ما أحبوا[1].. وإن التاريخ ليروى لنا أنه فى القرن الثانى، والثالث، والرابع الميلادى قد دخل الرومان والمصريون أفواجا، وأفواجا فى المسيحية[2].

ومن ثم استطاع الباحثون أن يجدوا عقيدة التثليث التى طرأت على المسيحية فى بعض الديانات القديمة مثل الديانة المصرية، والديانة الهندية، والديانة البوذية وفى الفلسفة الأفلاطونية بمدرسة الإسكندرية.. مما يرجح أن عقيدة التثليث عند النصارى تستمد أصولها من تلك الديانات جميعا..

وستذكر فيما يلى عقيدة التثليث فى كل من هذه المنابع

(أ) التثليث فى الديانة المصرية:

كان للدين المصرى القديم تأثير قوى فى عقائد النصارى، ليس فقط فى الشعائر بل فى الصور المرسومة. لدرجة أن الكثيرين يعتقدون أن صورة العذراء التى يصلى أمامها المسيحيون فى الكنيسة إنما هى مأخوذة عن صورة (إيزيس) المصرية التى كان يرسمها المصريون وهى تحمل طفلها (حورس) وترضعه.

يقول صاحب قصة الحضارة فى هذا الصدد:

«ولقد كان لهذه الأساطير والرموز الفلسفية الشعرية أعمق الأثر فى الطقوس المسيحية والدين المسيحى. حتى إن المسيحيين الأولين كانوا أحيانا يصلون أمام تمثال إيزيس الذى يصورها وهى ترضع طفلها حورس[3]»

---

(١) راجع الفصل ٢٢/٢.

(٢) أبو زهرة: محاضرات فى النصرانية٣٩.

(٣) ول. ديوارنت: قصة الحضارة ١٦٠/٢، وراجع أيضا الدكتور محمود مزروعة: دراسات ١٠٥.

ولقد تحدث عن التثليث فى الدين المصرى وتأثيره فى المسيحية كثير من الفكرين علـى اختلاف دياناتهم[1]، ولكن لعل من الخير أن نتـرك المجال لقلم أحد الكتاب المسـيحيين ليصور ذلك فيقول: كان فى معتقدات المصريين ما يجعل فكرة التثليث المسيحية قريبة إلى فهمهم.

فقد كان لكل مدينة هامة من مدنهم ثالوث من الآلهة. تختص بعبادته والولاء له. من أمثلة ذلك ثالوث طيبة. وبتكون من آمون (الآب). ومون (الأم) وخنسـو (الابن) وثالوث أبيدوس أو العرابة المدفونة، ويتألف من أوزوريس (الأب). وايزيس (الأم) وحوريس (الابن). وكانوا يعتقدون أنهم وان كانوا ثلاثة. إلا أنهم يعملون معا.

كما كان فى معتقداتهم ما يجعل فكرة ابن الله من عذراء قريبة إلى فهمهم كذلك. فقد كانوا يعتقدون مثلا أن (حور محب) آخر ملوك الأسـرة الثامنة عشر هو ابن الإله آمون من عذراء. وأن آبيس كان يتجسد فى مولود عجلة بكر بعد حلول روح الإله بتاح فيها.

وكانـوا يصورون فى يد آلهتهم علامة ترمز إلى الحياة. وكانوا يسـمونها (عنخ) وهى قريبة فى تكوينها من علامة الصليب التى اتخذها المسـيحيون شـعارا ورمزا لهم بعد ذلك.

كما كانوا يسـتعملون الغسل أو الرش بالماء المقدس. وهو طقس يشبه العماد عند المسيحيين.

وأخيرا نجد فى قصة الإله أوزوريس، واستشـهاده، ثم انتصاره فى النهاية على الشر. وجلوسه بعد ذلك فى السماء ليحاسب الناس كلا حسب أعماله ما يجعل قصة حياة المسيح وموته وقيامه وصعوده قريبة إلى قول المصريين وقلوبهم[2].

(ب) وأما فى الديانة الهندية:

فالهنود يعتقدون فى الإله (كرشنا) ما يشبه اعتقاد المسيحيين شبها يكاد يكون تامًا.

---

(١) راجع أحمد شلبى: المسيحية ١٦٩.

(٢) تاريخ الأقباط ٣٦/١-٣٧.

فهم يعتقدون أن الإله (كرشنا) هو نفسه الإله (منشتو) وأن الإله كرشنا هو المولود البكر. ويعتقدون بالخطيئة الأصلية التى يقول بها المسيحيون ويعتقدون أن الإله البكر (كرشنا) خلص الانسان من الخطيئة الأصلية بتقديم نفسه ذبيحة عنه.

الهنود يصورون الإله كرشنا مثقوب اليدين والرجلين، وهو مصلوب وعلى قميصه قلب الإنسان معلقا. وعلى رأسه إكليل من الذهب. وهذه كلها صور شبيهة بعقيدة المسيحيين فى المسيح[1].

(جـ) وأما عن البوذيين:

فإن عقيدتهم فى (بوذا) أكثر شبها بالمسيح: فهم يعتقدون فيه ما يعتقده المسيحيون فى المسيح. حتى إن البوذيين ليطلقون على بوذا لقب: المسيح، المولود الوحيد، مخلص العالم. ويقولون إنه إنسان كامل. وإله كامل تجسد بالناسوت. وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر. ويخلصهم من ذنوبهم فلا يعاقبون عليها ويجعلهم وارثين لملكوت السموات[2].

(د) وأما عن الفلسفة الأفلاطونية فى مدرسة الإسكندرية:

وهى التى تسمى بالأفلاطونية الحديثة. فهى ترجع العالم فى تكوينه وتدبيره إلى ثالوث مقدس: المنشئ الأول، العقل الذى تولد منه كما يتولد الولد من أبيه، الروح الذى يتصل بكل حى، ومنه الحياة. فإذا عبرنا عن المنشئ الأول بالأب، وعن العقل المتولد بالابن، وعن الروح بروح القدس. كما هو ثالوث النصارى الذى أخذ ببعضه مجمع نيقية. وبكله المجامع التى جاءت من بعده. لما خرجنا فى التسمية عن الصواب. وما كان فيها أى تسامح فذلك الثالوث فى معناه هو ثالوث النصارى[3]

(١) الدكتور محمود محمد مزروعة: دراسات فى الملل والنحل ١٠٧.
(٢) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء ص ٤٣٣.
(٣) أبو زهرة: محاضرات فى النصرانية ٤١.